آيات في التنمية البشرية

نملة تعلمنا سلوكيات التنمية البشرية (8/9)

تاريخ النشر في جريدة أخبار الخليج: 30 يونيو 2016

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

ما زلنا نقف في وادي النمل قبيل وصول سيدنا سليمان عليه السلام، ومازالت النملة تخاطب زميلاتها، وتعلمنا بعض السلوكيات التي من الممكن أن نتمتع بها حتى نرتقي في سلوكياتنا التنموية، منها: المصلحة العامة، الثقة بالنفس، المسؤولية، المبادرة، الإنجاز، تقديم الحلول، استشراف المستقبل، اليقظة، الاعتذار، ذكر الاسم، الذكاء الاجتماعي، ولنواصل ما انقطع من حديث،،

الابتسامة

إن كنا تعلمنا من النمل كل تلك السلوكيات فإنّ القصة لم تنته بعد، فإنّ سيدنا سليمان عليه السلام يعلمنا منطق القوي الذي يستطيع وهو في قمة قوته ألّا يتخطى الكائن الضعيف وهو في قمة ضعفه، والحاكم القوي الذي يسير بالجنود وإن كان بإمكانه أن يحطم ما يشاء فهو يملك كل القوى وحتى إن حطم كل الوادي بما فيه فإنه معذور فهو نبي اللّه في ذلك الزمان.

ولكن ما أروع الابتسامة إذا أتت من هذا القوي للضعيف ومن الكبير للصغير ومن الحاكم للمحكوم في وقت الكرب وساعة الأزمات ولحظات

الهول، فالآية 19 تقول (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)، لم يغضب ولم ينكر قولها ولم يتجاهلها، وإنما ابتسامته عليه السلام للنملة ابتسامة تفيض عطفًا وحنانًا، ليس ذلك فحسب وإنما تترجم الإعجاب من جميل التصرف وتخفف من شدة الموقف وتعيد الأمن والسلام والسكينة داخل النفوس.

وبعد أن أعطى النملة حقها في الابتسامة توجه نبي اللّه سليمان عليه السلام إلى اللّه عز وجل وقال وهو يعلم نعم اللّه عليه (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ)، أليست هذه عظمة وتواضع يستشعره الإنسان – أيًا كان موضعه – أمام الذات الإلهية بكل هيبتها وقوتها؟ فما بالنا إن كان هذا الإنسان نبيا يعرف ما للّه من حقوق، وما عليه هو من واجبات.

نظرة أخرى للموضوع

مازالت المختبرات والأبحاث تكشف لنا بصورة يومية عديدا من الأمور والقضايا التي كنا بالأمس نعتقدها غموضًا، وربما تعد الحشرات واحدة من تلك الكائنات التي ينظر لها الإنسان بكثير من الدونية حتى وجد أنها ترتبط بطريقة أو بأخرى بحياته سواء مشاركته في غذائه أو أنها ناقلة أو مسببة للأمراض.

لذلك وجه إليها الكثير من الدراسات والأبحاث حتى غدا تخصص علم الحشرات واحد من التخصصات التي تتميز به عديد من الجامعات، حتى

أنها تدرس اليوم في كليات الطب في التخصص الذي يعرف بحشرات الصحة العامة والحشرات الطبية.

ولقد سبق القرآن الكريم كل تلك الدراسات والأبحاث التي أجريت على الحشرات وأشار إلى حقيقة علمية كبيرة وهي ذكاء النمل وقدرته على المحاكاة العقلية والفكرية ومواجهة الأخطار، وهذا ما يمكن أن نجده في هذه القصة التي حدثت مع نبي اللّه سليمان عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام والنملة.

فقد استطاعت تلك النملة الصغيرة من تحديد مكان سليمان عليه السلام، والطريق الذي سوف يسلكه، وهذا لم يكن ليتم لولا هذه القدرات الخارقة التي يتمتع بها النمل. ولقد كشف العلم الحديث عن بعض من تلك العجائب في سلوك النمل الذكي وتطور جهازها العصبي، فعند دراسته تحت المجهر يظهر لنا أن دماغ النملة يتكون من فصين رئيسيين يشبه مخ الإنسان، ومن مراكز عصبية متطورة وخلايا حساسة.

ولنواصل ما انقطع من حديث في مقال الغد،،